

تحليل بلاغي لأسلوب العقاد في خطاب كتاب «سارة»

* الدكتور محمود خورشندي

** الدكتور محمد خاقاني إصفهاني

*** الدكتور علي ضيغمي

**** وجيهة السادات سيد بكايي

الملخص

يمكن دراسة كل أثر أدبي وتقييم أسلوبه من جهات مختلفة. لذا فقد قام هذا البحث بدراسة المواضيع الفكرية للأديب المصري عباس محمود العقاد في كتابه «سارة»، حيث إن هذا الكتاب وإن تمتع باشتراكات مع مسرحيات وروايات أخرى إلا أنه يتميز بميزات، منها: دور البلاغة في تحليل النص، وشكل الخطاب ووجوه تحليل الخطاب ومثانة أسلوب العقاد في استعمال الأساليب البيانية بشكل ملموس ومتعدد.

إن هذا البحث يدرس نظرة الكاتب في معالجة مقولات مختلفة مثل الأسلوب والخطاب ومفاهيمه واستعمال الأساليب البيانية فيه حتى يُثبت للقارئ بأن أسلوب العقاد الأدبي له قابلية للوصف وتغلب فيه الجوانب المنطقية والتحليل العقلي على الخيال وأنه يُمكن دراسة جوانبه على أساس الميزات والعلامات الموجودة فيه حيث يستعمل القضايا الحاسمة والمسلمات في نوع بيانه حتى ينقل بسهولة للقراء غايته من كتاباته، فعندما يستعمل تشبيهاً بكل أركانه أو استعارة أو مجازاً أو كناية يتبادر معناها إلى الذهن بسرعة أو عندما يستعمل التكرار بشكل موفٍ فكل هذه الأمور يدلّ على طريقة تفكيره المنسجم الذي يظهر في إطار توالٍ لغوي للمفردات والجمل والفقرات وفي النهاية في كتاب يمثل نوع خطابه. إن العقاد استطاع في هذا الكتاب أن يلقي هدفه حتى نهاية الكتاب بشكل ساذج وواضح وتبين لنا أن منطق يغلب على عواطفه ومشاعره وتخيّله.

كلمات مفتاحية: الخطاب، الأسلوب، التحليل، العقاد، سارة.

* - أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، سمنان، إيران Mahmoorkhorsandi7@gmail.com

** - أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة إصفهان، إصفهان، إيران khaqani@khaqani.org

*** - أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، سمنان، إيران. zeighami@profs.semnan.ac.ir

**** - طالبة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، سمنان، إيران Vbokaei@gmail.com

المقدمة

إن موضوع تحليل الخطاب، وبعد عدّة عقود من الدراسة والبحث في مجال الخطاب، يعدّ موضوعاً مشتركاً بين عدة فروع جامعية، حيث تتمّ دراسة هذا الموضوع في معظم العلوم الإنسانية وعبر منظار خاص لكل علم من هذه العلوم.

إن هذا البحث ينوي دراسة علاقة تحليل الخطاب بالتحليل البلاغي لأسلوب العقاد عبر منهج وصفي تحليلي حتى يحصل على خصائص أسلوبه الخاص بشخصيته وعصره والوجوه الأدبية المستعملة في كتابه «سارة». وإلى ذلك يجب الردّ على سؤال هام وهو: هل يمكن الحصول على سذاجة الخيال في أسلوب العقاد عبر طرح قضية الخطاب ودراسة توالي الجملة وتواردها وهيكلتها؟ نحن نؤكّد في هذا البحث على الهيكلية الخطائية لقلم العقاد، أي: اختيار الكاتب للمفردات والتعبير الخاصة فنقوم من منظار علم البيان بتحليل أسلوب العقاد عن طريق دراسة الهيكليات الخطائية ونتطرّق إلى أجزاء الخطاب في أقسام من كتاب «سارة» حتى نقوم بدراسة نص الكتاب عن طريق كشف هذه الهيكليات ودراستها وتبينها وتبريرها وفي النهاية نصل إلى الأجزاء المستورة فيها ونكتشف رسالة الكاتب الحقيقية من خلال نوع القلم وخطابه.

سابقة البحث

إن قضية الخطاب تعتبر ضمن المجالات المشتركة بين فروع العلوم الإنسانية؛ وله عدّة وجوه ومعانٍ بحيث أدّى ضرورة تلقّي المعنى الصحيح وفهمه الدقيق إلى إقبال واسع على دراسته من قبل مفكّري العلوم الإنسانية. كما أنّ الكمية الكبيرة للتلقّيات والقضايا المطروحة فيها أدت إلى طرح وتأليف آراء ومقالات وكتب منوّعة في هذا المجال، منها: كتاب «مقدمة في نظريات الخطاب» لديان مكدونيل و«تحليل الخطاب الانتقادي» لنورمان فيركلاف و«مقدمة في تحليل الخطاب» لشعبانعلي بهرامبور. ومقال الدكتور فردوس آقا گل زاده الذي قام في مقاله الذي نشره باللغة الفارسية تحت عنوان «تحليل كفتمان انتقادي و ادبيات» (تحليل الخطاب الانتقادي والأدب) قام بدراسة علاقة تحليل الخطاب الانتقادي ونقد معرفة اللغة عبر تحليل أدبي للنصوص ونقدها أدبياً؛ كما نشر هذا المؤلف مقالات أخرى باللغة الفارسية تتعلق بشكل مباشر أو غير مباشر بموضوع الخطاب وأنواعه وتدل على اتساعها وشموليتها؛ منها: «رويكردهای غالب در تحلیل گفتمان انتقادي» (مناهج سائدة في تحليل الخطاب الانتقادي)، و«توصیف و تبیین ساختهای زبانی ایدئولوژیک در تحلیل گفتمان انتقادي» (وصف وشرح المبادئ الأيدولوجية في تحليل الخطاب الانتقادي)، و«انگاره‌ی زبانشناختی نگارش و گزینش

خير: رويكرد تحليل گفتمان انتقادي» (المفاهيم اللغوية لكتابة الخير واختياره: من منظار تحليل الخطاب الانتقادي). كما هناك مقال للدكتور حسن شاوشيان تحت عنوان «زبانشناسي وتحليل گفتمان» (معرفة اللغة وتحليل الخطاب) حيث تطرّق البحث إلى ظروف ظهور تحليل الخطاب في معرفة اللغة. ويقوم الدكتور أحمد يحيائي في مقاله «تحليل گفتمان چیست؟» (ما هو تحليل الخطاب؟) بالبحث عن جذور هذه القضية واستكشافها فيذكر أهم أهداف تحليل الخطاب ويشرح مستويات الخطاب على حدة^١. وهناك كثير من المقالات والكتب التي كتبت عن الأديب المصري عباس محمود العقاد^٢، فمنها نستطيع الإشارة إلى: «شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث» لعبد الحي دياب، و«الجمال والحرية

^١ أحمد يحيائي إلهاي، «تحليل گفتمان چیست؟» (ما هو تحليل الخطاب؟)، مجلة «آموزش روابط عمومي» (تعليم العلاقات العامة)، ص ٥٨.

^٢ ولد عباس محمود العقاد في ٢٨ حزيران ١٨٨٩م، في مدينة أسوان بصعيد مصر في أسرة متواضعة، وقد لُقّب بالعقاد لأن آباءه كانوا يمتنون بنسج الحرير وحياته. (عاصر العقاد، محات من حياة العقاد المجهولة، ص ٤٠ و ٤١) وكما يقول نفسه: «أما اسم "العقاد" فأذكر أن جدي لأبي كان يشتغل بصناعة الحرير ومن هنا أطلق عليه الناس اسم "العقاد" أي الذي "يعقد" الحرير... و التصقت بنا وأصبحت علماً علينا» (عباس محمود العقاد، أنا، ص ٢٥). تعلم عباس مبادئ القراءة والكتابة في صغره فراح يتصفح ما يقع تحت يديه من الصحف والمجلات ويستفيد منها. ثم لحق بإحدى المدارس الابتدائية وتعلّم فيها اللغة العربية والحساب ومشاهد الطبيعة وأجاد الإملاء، وحصل على شهادتها سنة ١٩٠٣. وألمّ عباس بقدر غير قليل من مبادئ اللغة الإنجليزية حتى نال الشهادة الابتدائية بتفوق وأتاح له ذلك قراءة الأدب الإنجليزي مباشرة. وبعد أن أتم عباس تعليمه الابتدائي عمل في وظيفة كتابية لم يلبث أن تركها، وتكررت زيارته للقاهرة وقويت صلته بالأدب والفن فيها ولم تستطع الوظيفة أن تشغله عنهما البتة. وفي سنة ١٩٠٥ عمل بالقسم المالي بمدينة قنا، وبدأ العقاد إنتاجه الشعري مبكراً قبل الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤. وفي سنة ١٩٠٦ عمل بمصلحة البرق، ثم ترك عمله بها واشترك سنة ١٩٠٧ مع المؤرخ محمد فريد وجدي في تحرير «مجلة البيان»، ثم في «مجلة عكاظ» في الفترة بين سنة ١٩١٢ حتى سنة ١٩١٤، وفي سنة ١٩١٦ اشترك مع صديقه إبراهيم عبد القادر المازني بالتدريس في المدرسة الإعدادية الثانوية بميدان الظاهر. وظهرت الطبعة الأولى من ديوانه سنة ١٩١٦، ونشرت أشعاره في شتى الصحف والمجلات. وتوالى صدور دواوين شعره: وحي الأربعين هدية الكروان عابر سبيل، وقد اتخذ فيها من البيئة المصرية ومشاهد الحياة اليومية مصادر إلهام. وخاض هو والمازني معارك شديدة ضد أنصار القديم في كتابهما «الديوان» هاجما فيه شوقي هجوماً شديداً. وفي إنتاجه النثري كتب: الفصول مطالعات في الكتب والحياة مراجعات في الأدب والفنون. ثم كتب سلسلة سير لأعلام الإسلام: عبقرية محمد، وعبقرية الصديق، وعبقرية عمر، وسيرة سعد زغلول، كما اتجه إلى الفلسفة والدين فكتب: الله، والفلسفة القرآنية، وإبليس. توفي العقاد في الثاني عشر من آذار سنة ١٩٦٤م بعد أن ترك تراثاً كبيراً. www.khayma.com/salehzayadneh/poets/3aqqad وحنا الفاحوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، صص ٢٨٩ - ٣٠٤. (بتصرف)

والشخصية الإنسانية في أدب العقاد» لنعمات أحمد فؤاد، و«عمالقة عند مطلع القرن» لعبد العزيز المقالح، كما كتبت عنه كتب التواريخ المعاصرة نحو «تاريخ الأدب العربي» لحنا الفاحوري، و«تاريخ الأدب العربي» لأحمد حسن الزيات، و«تاريخ الأدب العربي» لكارل بروكلمان، و«أعلام الأدب المعاصر في مصر» لحمدى السكوت. وكما أن العقاد كتب عن حياته الخاصة في بعض كتبه بقلمه مثل: «أنا»، و«يوميات ٢٠١».

وكتبت في إيران بعض المقالات والرسائل والأطاريح الجامعية عن العقاد من أهمها: «ترجمه رمان «ساره» اثر عباس محمود العقاد ونقد ساختاري آن» رسالة ماجستير للباحثة معظمة أحمدى تحت إشراف الدكتور محمد علي طالبي حيث قامت الباحثة بالترجمة الفارسية للكتاب ودراسة العناصر القصصية فيه غير أنها لم تطرق إلى تحليلها البلاغي كما فعلنا في هذا البحث؛ و«نوگرایی در شعر عباس محمود العقاد» (التجديد في شعر عباس محمود العقاد) للباحث مرتضى براري رئيسي تحت إشراف الدكتور عبد العلي آل بويه لنكرودي؛ و«عباس محمود العقاد: نشاطاته وآثاره» للدكتور مجتبي رحماندوست و«آراء العقاد النقدية في الشعر العربي» للباحث مرتضى قديمي وتحت إشراف د. حامد صدقي. كما ذكرنا أن النشاطات العلمية حول هذا الأديب التحرير كثيرة جدا غير أننا نكتفي بما ذكر في هذه العجالة.

الأسلوب^١ في اللغة والاصطلاح:

ذكر لكلمة الأسلوب كثير من المعاني حتى صار من الصعب تحديدها بتعريف واحد. وهذا يعود إلى أن هذه الكلمة لا تخصّ المجال اللساني وحده بل استعملت في مجالات عديدة أخرى من الحياة اليومية. يقول ابن منظور في اللسان: «يقال للسطر من النخيل وكل طريق ممتد فهو أسلوب، فالأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب، ويقال أنتم في أسلوب سوء... ويقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه»^٢.

ويعرّف ابن خلدون الأسلوب في المقدمة فيقول: «إنه عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادة كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة الإعراب ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي وظيفته البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب»^٣

^١ Style

^٢ ابن منظور، لسان العرب، مادة سلب، ج ٢٤، ص ٢٠٥٨

^٣ ابن خلدون، المقدمة، ج ٥، ص ٣٢٧.

ويميز عادة بين الأسلوب الأدبي والأسلوب غير الأدبي وبين الأسلوب الشفوي والكتابي وبين الأسلوب الجيد والردئ^١. ويعرّف الشاعر الإيراني الشهير ملك الشعراء بهار (١٣٣٠هـ.ش/١٩٥١م) الأسلوب: «إن الأسلوب في المصطلح الأدبي هو طريقة خاصة لفهم الأفكار والتعبير عنها عبر تركيب الكلمات واختيار الألفاظ وطريقة التعبير بحيث يلقي شكله الخاص على كل أثر أدبيّ من جهة الشكل والمعنى»^٢

نظراً إلى رأي محللي الخطاب الانتقادي الذين يرون أن النصوص الأدبية هي في خدمة المجتمع الإنساني يمكننا أن نستنتج عن طريق مفهوم تحليل الخطاب الانتقادي أمراً هاماً، هو: «إن الأسلوب هو حصيلة نظرة الفنان الخاصة إلى العالم الداخلي والخارجي الذي يتجلى بالضرورة في طريقة خاصة من بيانه»^٣

إن كلمة الأسلوب تستعمل في ثلاثة مفاهيم وهي: الأسلوب الخاص وأسلوب العصر والأسلوب الأدبي. وإن الأسلوب الخاص أسلوب يختصّ بشاعر أو كاتب بحيث يميّز آثاره عن الآخرين على مرّ العصور. ويظهر الأسلوب الخاص عند الأديب من تردّد العلامات وتكرارها عنده^٤. وإن أسلوب العصر هو أسلوب عام للشعراء أو الكتّاب في فترة من فترات تأريخ الأدب. وإن الأسلوب الأدبي يميّز الآثار الأدبية من غير الأدبية^٥.

إذا اعتقدنا بأن الأسلوب هو حصيلة اختيار خاص للمفردات والمصطلحات، فنريد أن نبين في البحث أن العقاد استطاع في كتابه «سارة» وعبر استعمال بعض الأساليب البيانية استطاع أن يظهر الجمال المعرفي والعناصر الأدبية بشكل واضح جدا.

الخطاب في اللغة والاصطلاح:

يقول ابن منظور في اللسان: «يقال: خَطَبَ فلانٌ إلى فلانٍ فَخَطَبَهُ وأَخَطَبَهُ أي أجابَهُ. الخِطَابُ والمُخَاطَبَةُ: مُرَاجَعَةُ الكَلَامِ، وقد خَاطَبَهُ بالكَلَامِ مُخَاطَبَةً وَخِطَاباً، وهُمَا يَتَخَاطَبَانِ.»^٦

^١ هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيماني لتحليل النص، ترجمة محمد العمري، ص ٥١.

^٢ محمد تقي بهار، سبك شناسي، مقدمه ص ي.

^٣ سيروس شميسا؛ سبك شناسي شعر، ص ١٥.

^٤ المصدر نفسه؛ ص ٢٩.

^٥ المصدر نفسه؛ صص ٩ و ١٠.

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾^٢ ويقول أيضاً: ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾^٣

وتأخذ كلمة «خطاب» عند المحدثين أبعاداً دلالية أخرى تصل أحياناً إلى حد الإلباس. إذ يذكر أحد الفلاسفة العرب المهتمين باللغة أنه «لن نبالغ كثيراً إذا قلنا إن لفظ «الخطاب» هو أكثر الألفاظ تداولاً في الخطاب العربي المعاصر... وطبعي أن يلحق اللفظ العياء فيفقد كل دلالة، أو على الأقل لا يعود يعني شيئاً كثيراً. بل إنه يكاد في معظم الأحوال، لا يعني إلا ما يدل عليه لفظ «مقال»... والظاهر أن الذين يكثر من استخدامها تنصرف أذهانهم نحو بعض أقطاب الفلسفة المعاصرة وخصوصاً ميشيل فوكو. لكن ما لا ينبغي أن نناساه هو أن المفكر الفرنسي يستعمل اللفظة كما هي أصولها عند نيتشه، حيث لا فرق بين مفهومي الواقع والخطاب... ومجمل القول، ليس الخطاب وعياً يتخذ من اللغة مظهره الخارجي، إنه ليس لساناً وذاتاً تتكلمه، وإنما هو ممارسة لها أشكالها الخاصة من الانتظام.»^٤

ولكي يدرك المرء الأبعاد المضطربة التي يدور حولها مفهوم الخطاب وتعدديه حدود اللسانيات إلى آفاق أخرى وعلوم متباينة فليُنظر في المقدمة التي كتبها حسن حنفي لمؤتمر تحليل الخطاب العربي وفي أبحاث ذلك المؤتمر^٥، ولكن الذي يظهر أن الخلط والالتباس بين مفهومي «النص والخطاب» حصل في الثقافة الغربية قبل انتقالهما إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة، وإن كان يغلب في التقليد الأوربي «استخدام النص، على حين يغلب استخدام الخطاب في التقليد الأنجلو أمريكي، بيد أن التداخل بين النص والخطاب من حيث هما اصطلاحان محوريان، وعلمان لسانيان، مما لم يحسم أمره في الأدب، تستطيع عبارات مثل «خطاب النص»، و«نص الخطاب»، و«النص بنية خطافية»، و«الأدب خطاب نصي»، و«الخطاب النصي» وغيرها تستطيع أن تؤكد التداخل والاشتباك بين هذين المصطلحين»^٦.

^١ ابن منظور، لسان العرب، مادة خطب، ج ١٤، ص ١١٩٤.

^٢ سورة ص، ٢٠.

^٣ سورة ص، ٢٣.

^٤ عبدالسلام بن عبد العالي: بين بين، ص ٧٨ ٧٩.

^٥ تحليل الخطاب العربي، المؤتمر العلمي الثالث، جامعة فيلادلفيا، كلية الآداب ١٠ ١٢ مايو ١٩٩٧م. نقلا عن

^٦ www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=573 (تأريخ: ٢٠١٣/٠٣/١٧)

^٦ محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص ٧.

كما أن أثر الترجمة إلى العربية قد بعثر في دلالة لفظة «الخطاب»، وما زاد الطين بلةً اختلاف مصادر تلك الترجمة، واختلاف تخصصاتها؛ ولذلك فلا بد من محاولة استجلاء مفهوم «الخطاب» في المصدر الغربي الذي خرج منه.^١

إن الخطاب عند الغربيين «كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوباً أو ملفوظاً، غير أن الاستعمال تجاوز ذلك إلى مفهوم أكثر تحديداً، يتصل بما لاحظته الفيلسوف هـ. ب غرايس عام ١٩٧٥م من أن للكلام دلالات غير ملفوظة، يدركها المتحدث والسامع دون علامة معلنة، أو واضحة... وقد اتجه البحث في ما يعرف بتحليل الخطاب إلى استنباط القواعد التي تحكم مثل هذه الاستدلالات أو التوقعات الدلالية»^٢

فمن الواضح أن أشكال الخطاب المختلفة تستخرج عبر دراسة سياق النص ومجالاته الاجتماعية والثقافية. يحاول في دراسة أي خطاب أن يدرس نظامه وتنظيمه متجاوزة الجمل الموجودة فيه. لذلك يجب دراسة الوحدات اللغوية مثل المحادثات أو الكتابات. فيمكن الإشارة في هذا النوع من الدراسة إلى عمليات منها: المبادئ الفكرية والاجتماعية البني التحتية وهياكل الخطاب والنقاش.

إن الخطاب ومنذ السبعينيات أي ١٩٧٠ فصاعداً ظهر في أشكال وإطارات جديدة وأهمها هي «تحليل الخطاب» الذي يعتبر كوسيلة لمعرفة منهج جديد في مجال العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية^٣. غير أن تحليل الخطاب يطلق عادة على قسم من وظائف وآثار لغوية^٤ ودلالية^٥ وسميائية^٦، وأسلوبية^٧ ونحوية^٨ تقتضي توصيفها وشرحها أن يعتبر التوالي والترادف والتوارد في الجمل وهيكلتها^٩. إن النص يعتبر

^١ مفهوم الخطاب في الدراسات اللغوية والنقدية، www.startimes.com/?t=9009970 (تاريخ:

٢٠١٣/٠٣/١٧)

^٢ - ميشان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص ١٥٥.

^٣ - ميشل مان، موسوعة علم الاجتماع، ص ٩٥

^٤ - linguistic

^٥ - semantic

^٦ - semiotic

^٧ - stylistic

^٨ - syntactic

^٩ - آلان باوك وأليور استاليراس، قاموس الفكر الحديث، (Bullock Alan & Stallybrass Oliver)،

(Fontana Dictionary of Modern Thought) ص ٩٥.

نوعاً من العلاقة اللغوية عبر الحوار أو الكتابة وهو بمثابة رسالة يتم تشفيرها عن طريق الرؤية أو السمع^١.

خطاب العقاد في كتاب «سارة»

إن من أهم كتب عباس محمود العقاد والذي كتبه في الثلاثينيات من القرن العشرين هو قصته الشهيرة في الحب لـ «سارة» والذي كان في سنة ١٩٢٦ م. وكذلك حبه لـ «هند»، (الأدبية مي زيادة) التي كانت تختلف إلى بيته. ولكن انتهت كلتا القصتين إلى نهاية مؤلمة ومرة بحيث كان يعاني منهما العقاد حتى آخر عمره.

إن العقاد يُعرف بأسلوبه القوي والمستحکم الذي يخفي خلفه ثقافة عميقة في الأدب العربي. هو وإن يستعمل الألفاظ والكلمات في هيكلية مستحكمة ونادرة إلا أنه لا يكتفي بالأدب العربي بل يتطرق بذكائه ومواهبه وملكاته الذهنية إلى الأدب الغربي، وكما يقول شوقي ضيف: «نفذ من خلاله إلى ثراء عريض في معانيه وهو ثراء لا يستمد فيه من الغرب فحسب، بل يطبعه بملكاته فإذا هو له وإذا هو من صنعه، صُنِعَ عقله المشتعل الذي يستقلّ - رغم محصوله الواسع من الثقافات بتفكيره وإلحاحه في هذا التفكير إلحاحاً يستحدث في تضاعيفه كثيراً من الخواطر والآراء. وإن العقاد في أعماقه يستمد حياته من حياة أمته فهي نصب عينيه دائماً، بل هي دائماً النبع الروحي لأحاسيسه ومشاعره بكل ما توج به من أحداث.»^٢ وكما قال شوقي ضيف: «لعلّ حياته المتناقضة وانتقاله أحياناً من المعسكر التجديدي إلى المعسكر التقليدي أدى إلى تعبيره الصادق والمستقل عن أفكاره الأدبية والسياسية والاجتماعية بعيداً عن الاستقطاب والإسفاف والهبوط.»^٣

إن العقاد بأفكاره وآثاره وبخصائصه الإنسانية العامة وبالمعارك المختلفة التي تحيط بشخصيته أثبت وجوده في تاريخ العرب وأصبحت حياته واحدة من أهم الحلقات التي صنعت الثقافة العربية الراهنة وأسهمت سلباً وإيجاباً فيما وصل إليه الوعي الفكري والاجتماعي. وأنه منذ ذلك الحين لم يعد ملك نفسه ولا ملك الشعب الذي نشأ فيه أو الأمة التي تحدّث لغتها وإنما هو ملك التاريخ وملك البشرية بأسرها. وشخصية في هذا المستوى الإنساني لا يمكن أن تكتمل صورتها لأن آثارها المختلفة لا تعرف

^١ - ليج وشرت (Leech Geoffrey & short Micheal , Style in Fiction: A)

(Linguistic Introduction to English Fictional Prose)، ص ٢٠٩.

^٢ - شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١٣٩.

^٣ - عبدالعزيز المقالح، عمالقة عند مطلع القرن، ص ٦٤.

التوقف عن الحركة والنشاط. وحصل العقد على قوة تحليل يمكنه بسهولة تبرير كلما يتسع ويستشري من التناقضات والاختلافات السائدة على قضايا العهد من وجهة نظره.^١

ترى نعمات أحمد فؤاد بأن الشخصيات التي يكتب عنها العقد هي صور شخصية العقد نفسه وتدلّ على لطافة روحه ونفسه، وتعتقد إن كتابات العقد عن الشخصيات تمثل من حيث المبدأ الشخصية الداخلية والخارجية للكاتب نفسه أي يصور في الواقع صورة عن الأمور الجسمية والروحية في إطار هذه الشخصيات المصوّرة؛ وتقول الدكتورة نعمات: «وإنه في كلا الحالتين يكون كمفتاح من مفاتيح شخصيته الداخلية بل لعل هذه الشخصية تكون أهم وأقرب طريق لوصول العقد إلى العالم الأدبي والإنساني».^٢

إن العقد لا يستطيع أن يتجاهل شخصية المرأة وينساها لأنه استهدى إلى طريقه عبر تأثير المرأة القوي، فقد قام بإيضاح خصائص المرأة العجيبة والمدهشة في كتاب «سارة».^٣ فهو يحب المرأة التي تكون إنساناً بغض النظر عن كونها امرأة أو رجلاً.^٤ إن العقد لا يريد المرأة للالتذاذ أو اللهو بل يحبها لذاتها ولإصالة وجودها وليس لجمالها الظاهري.^٥ إنه أديب كتب قصصاً وقصائد غزلية كثيرة للمرأة وكثيراً ما كان يؤلم قلبه من أجل الحب ورغبات الهوى.^٦

إنه وفي الثلاثين من عمره عندما كان أديباً شاباً وأنيقاً يتداول اسمه في عالم الصحافة والأدب أصبح عاشقاً وكان يلتقي خفية في حديقة أحد الكتّابين في حيّ «الظاهر» بمحبوبته «مي» أو «ماري إلياس زيادة» التي كانت بدورها فتاة أدبية فكان يتحدث معها بعيداً عن أنظار الناس.^٧ إن «مي» اضطلعت بدور هام في حياة العقد. فوهبته سعادة كانت مصدر إلهاماته.^٨

^١ المصدر نفسه، ص ٦٥.

^٢ نعمات أحمد فؤاد، الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقد، ص ٣٩.

^٣ المصدر نفسه، ص ١٣٢ و١٣٣.

^٤ المصدر نفسه، ص ١٣٣.

^٥ المصدر نفسه، ص ١١٨.

^٦ فتحي الإيباري، أدباونا الحديث، ص ٤٠.

^٧ المصدر نفسه، صص ٤١ و٤٢.

^٨ المصدر نفسه، ص ٤٥.

توفيت ماري إلياس زيادة سنة ١٩٤١م إلا أن حبها أحيى من جديد حياة العقاد مع فتيات من نوع «مي» حتى يبدأ قصة حياة جديدة. إن الموت والحياة في رأي العقاد يعتبران من أسرار الكون حتى يجعلانه يصف في قصته «آليس» أو «سارة» وصفاً خالداً.^١

كان للعقاد قصة حب رائعة مع سارة حيث بدأت بأنس ومودة كثيرين ولكنه رغم تفاهمهما لبعض الأمور إلا أنه من أجل اشتغال العقاد الكثير وخلافهما في أمور أخرى أصبح لاحقاً بشكل كان يتماطل العقاد عن الرد على الرسائل التي كانت سارة تكتبها له في الرحلة، فلم يعد يثق بها وكان يعاني في أعماق قلبها من خيانتها.^٢

يرى محمد عبد المطلب أن الحيوية المنبعثة عن فكرة معرفة أسلوب العقاد أدت إلى نظراته الواسعة في الجمع بين الثقافتين العربية والغربية: قائلًا: «لاشك أن الحركة وراء فكرة العقاد لمتابعة المواقف الأسلوبية تقتضي نظرة شاملة تمتد إلى مساحة واسعة من الأفكار العربية القديمة مطلعة على مصادر الأفكار الغربية.»^٣

للتعرف على مواقف العقاد الأسلوبية يجب امتلاك نظرة شاملة وواسعة تمتد إلى عمق فكرته، نظرة تشمل قسمًا واسعًا من الأفكار العربية القديمة واتجاهات الأدب العربي أيضًا. فيرى محمد عبد المطلب أنه وللتعرف على أسلوب العقاد يجب أن نعرف عقيدته وآرائه النقدية كما أن أبعاده النفسية تضطلع بدور هام أيضًا في التعامل مع خطاب أدبي.^٤

إضافة إلى أسلوب الأمثال فإن الأسلوب الرمزي أو الأسلوب العلمي والأدبي أو الأسلوب الصوفي المملوء بالأسرار لكل منها منهج رسمي ينبعث عن الأبعاد الروحية والطبيعة ويتعلق بحقيقة العمل وحاجات الناس.^٥

إن العقاد تأثر بناقدين غربيين أي سانت بييف^٦ وتين^٧. إن بييف يعتقد بأن تعليم أي أثر أو تعلمه يتزامن مع حياة الإنسان وروحه وأفكاره. وإن تين يذهب إلى أن كل أثر أدبي يخلق بثلاثة عناصر وهي

^١ المصدر نفسه، ص ٤٩.

^٢ المصدر نفسه، ص ٥٦.

^٣ محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص ١٢٩.

^٤ المصدر نفسه، ص ١٣١.

^٥ المصدر نفسه، ص ١٥٥.

^٦ Saint Beuve.

^٧ Tain

النوع والمحيط والزمان. وتؤثر هذه العناصر الثلاثة في إيجاد أي أثر وكشف عناصره وتحليلها. استطاع العقاد أن يمزج بين البعد النفسي والمحيطي واستطاع بمعونتهما أن يمتلك أسلوباً خاصاً يتأثر بالشخص أو الزمان أو المحيط بعض الأحيان.^١

إنه يعتقد بأن مكانة الحروف في الكلمات تؤثر على دلالة المعاني، فالميم على سبيل المثال إذا وقعت في آخر الكلمة تدلّ على التأكيد والتشديد والحسم، أو السين تدلّ على اللينونة. وقد يتعلّق ذلك الأمر بمكانها في الكلمة وتدلّ على المجاورة. فاستنتج من وجهة نظره هذه نتائج وهي:

١ هناك علاقة قوية بين الحروف ودلالة الكلمات.

٢ إن الانعكاس الصوتي للحروف يؤثر على دلالاتها ويؤدّي إلى قوتها أو ضعفها.

٣ إن مكانة الحروف في الكلمة وتأثيرها في دلالة الحرف يحدث في الكلمة نفسها وليس في تركيبها مع الكلمات الأخرى.^٢

إن خصائص أسلوب العقاد تظهر في خطابه الشعري أكثر ولكنه يدخل إلى هذه الساحة الجديدة والمبتكرة من منظار تراث اللغة العربية والخلفيات العربية.^٣

إن العقاد يرى القصة موهبة عظيمة تعرض الحياة بشكل كامل وتسائر المكونات الفنية والمعرفية والفهم العميق فتخبرنا عن الحياة على أساس الإنسان. حياة تجيب عن أسئلتنا ونسألها ونطلب منها الإجابة ولكن ينقصها أننا لا نستطيع أن نشعر بما عندما نقوم بما. أي عندما نجرب ضمن حياتنا ظروفًا تشبه القصة والرواية لانستطيع أن نفهمها بشكل صحيح وعميق وإنما يوجد أنشودة أو جملة في القصة أو الرواية يمكن تطبيقها على حياتنا فنختار الأنشودة أو الجملة هذه فقط. فعندما يكثر الناس من قوة مشاعرهم وفهمهم يجدون حقيقة القصص في حياتهم.^٤

إذا اعتبرنا الأسلوب منهجاً خاصاً في اختيار الكلمات واستبدالها لإيصال المعنى المعني، فنجد أن أفكار العقاد الأسلوبية هي مزيج من الأفكار العربية القديمة والأفكار الغربية الجديدة.

^١ محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، صص ١٣٢ و ١٣٣.

^٢ المصدر نفسه، صص ١٤٤ و ١٤٥.

^٣ المصدر نفسه، ص ١٥٨.

^٤ المصدر نفسه، ص ١٦٥.

إن هذا التعريف من الأسلوب يظهر جلياً في تأليفات العقاد إضافة إلى المفهوم الشامل لأفكاره الأسلوبية. ولمعرفة أفكار العقاد بشكل صحيح نحتاج إلى حركتين موازيتين متزامنتين: حركة شاملة وحركة تحليلية.^١

أسلوب العقاد في كتاب سارة

إن الأسلوب البياني لكل كاتب يكمن في الحقيقة والحجاز والكناية والتشبيه والاستعارة مع استعمال أنواع صور الخيال وتكرارها بشكل متعدد. وقد استطاع العقاد بمهارته أن يستعمل أنواع الحجاز والاستعارة والكناية والتشبيه في مواضع مختلفة لأداء أغراضه الداخلية نشير إلى بعض منها على حدة:

التشبيه

التشبيه: لغة التمثيل. يقال هذا شبه هذا أي مثله؛ والتشبيه اصطلاحاً عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم. أركان التشبيه أربعة: ١- المشبه وهو الأمر الذي يريد إلحاقه بغيره. ٢- المشبه به وهو الأمر الذي يلحق به المشبه. ٣- وجه الشبه وهو الوصف المشترك بين الطرفين ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه. ٤- أداة التشبيه وهي اللفظ الذي يدل على التشبيه ويربط المشبه بالمشبه به.^٢

إن التشبيه يكشف عن أسرار النصوص العربية المنظومة والمنثورة ويجعل المخاطب يفكر ويتأمل فيثير إعجابه ودهشته بأنواعه. يبين في التشبيه نوع من المقارنة حتى يحقق الوضوح والجمال معاً.^٣ إن قلم عباس محمود العقاد في كتاب «سارة» استفاد من هذا الأسلوب أكثر من مرة ونحن نكتفي هنا بالإشارة إلى نماذج منها فقط:

١- «... كانت كل خطوة في تلك الطريق كأنما تنقل النفس بآكام فوق آكام من الذكريات والآلام...»^٤ فترى في المثال أن التشبيه من النوع المحسوس بالمعقول وأركانه:

- المشبه: «كل خطوة في تلك الطريق»
- المشبه به: «خطوة تُنقل النفس بالآكام»

^١ المصدر نفسه، ص ١٦٧.

^٢ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، صص ٢٤١ و ٢٤٢.

^٣ أحمد أبو محبوب، كالمبد شئنا نثر، ص ٢٤٥.

^٤ عباس محمود العقاد، سارة، ص ١١.

- أداة التشبيه: «كأثما»
- وجه الشبه: «فرض الصعوبات الشديدة على النفس»
- نوع التشبيه: مرسل ومجمل، وقريب مبتدل، وغير تمثيل، ومحسوس بمعقول، والمشبه فيه مفرد مقيد والمشبه به مركب.
- فائدة التشبيه: بيان حال المشبه.

عندما تتأمل في هيكلية كلام الكاتب نجد أن التشبيه برأيه هو أفضل أسلوب لبيان حالة الحزن والهم الذي انتابته عند استعراض الذكريات المؤلمة السابقة وتحمل الصعوبات المرة أو استعراض الذكريات الحلوة لتلك الأيام. لأن علماء البلاغة يعتبرون الإيضاح أحد ضرورات التشبيه. إن ذكريات أيام الوصال حدثت في تلك الطرق ولكن الآن ليست محبوبته معه، فكأنه ليصعب عليه التنفس هناك ويؤلمه تحمل هذا الألم الموجه. وكما يؤكد العقلاء والمنطقيين أن سر التشبيهات المحسوسة بالمعقولة هو: أن الناس وإن لم يجربوا شيئاً يحساسهم ولكن يصورونه بالاستعانة بصور الخيال وهذا يوجد الاضطراب وبعض الأحيان الانزعاج أو السرور الذي يتموج في الكاتب أو القائل يوجد في مخيلة المخاطب أيضاً.

٢- «... فأحس لهما صدى كأنفجار الهاوية تحت السفينة في البحر اللجي من أثر عاصفة أو زلزال...»^١

المشبه: صدى. المشبه به: انفجار الهاوية. أداة: ك. وجه الشبه: الشدة

نوع التشبيه: مرسل، ومجمل، وقريب مبتدل، وغير تمثيل، ومحسوس بمحسوس، والمشبه فيه مفرد مطلق والمشبه به مفرد مطلق. فائدة التشبيه: بيان مقدار شدة حال المشبه وضعفها.

٣- «... وبعد أن غاص في تلك الغيبوبة التي استنام إليها كما يستنيم الساهر البعيد

العهد بالنوم إلى أول ضجعة على الفراش...»^٢

المشبه: الغوص في البهت والحيرة المنبعثة عن الثقة بالمحبوبة. المشبه به: التظاهر بالنوم. أداة التشبيه: كما. وجه الشبه: عدم الاهتمام العمدي ببعض المحسوسات والمعقولات التي حوله. نوع التشبيه: مرسل، ومجمل، وقريب مبتدل، وغير تمثيل، ومعقول بمعقول، والمشبه فيه مفرد مقيد والمشبه به مفرد مطلق. فائدة التشبيه: تثبيت حال المشبه في ذهن السامع.

^١ المصدر نفسه، ص ١٢.

^٢ المصدر نفسه، ص ١٥.

٤- « مضى في طريقه مهرولاً كمن يمضي إلى غاية معلومة يخشى أن يفوته لحاقها.^١ المشبه: «الذي يهرول». المشبه به: «الذي يمضي إلى غاية معلومة» أداة التشبيه: «ك» وجه الشبه: «الذهاب إلى غاية معلومة والخوف من عدم الوصول إليها» نوع التشبيه: مرسل، مجمل، قريب مبتدل، غير تمثيل، محسوس، محسوس، مفرد؛ والمشبه والمشبه به مقيّدان. فائدة التشبيه: بيان حال المشبه. نشاهد في النماذج المذكورة أن العقاد ينقل الحقيقة بوضوح وبشكل عيني وملمس للمخاطب عبر ذكر طرفي التشبيه واختيارهما من المحسوسات. لأن هيكليّة التشبيه هي في الواقع نوع من المقارنة ويصل المخاطب عبر هذه المقارنة إلى فهم أفضل للمفاهيم. لذلك يستفيد العقاد من التشبيه لنقل الحقائق التعليمية والواعظة، وهذا هو الخطاب أي استعمال حسن للغة من أجل التواصل، يتم عرضه من قبل الكاتب حتى يشمل أجزاء الخطاب من الفقرات والحوارات والمحدثات... كما يؤثّر اختيار الأجزاء على هيكليّة الكلام والخطاب تأثيراً أكثر ويعرض المعنى والمفهوم متجاوزاً ظاهر الجملة ويبيّن مفاهيم (الحبّ والكره والابتعاد والهجران...) بشكل أعمق لأن الخطاب وخلافاً للنص يجب أن يتمتع بانسجام واتصال عميق.

مجاز مفرد مرسل

المجاز في اللغة: من جاز الشيء إذا سار فيه وتعدّاه.^٢ وفي الاصطلاح: هو الانتقال من المعنى الحقيقي للفظ وهو المعنى الذي تثبته القواميس إلى معنى آخر له به اتصال، ولكن لا بدّ من وضع قرينة تدلّ على هذا المعنى الثاني المقصود.^٣ والقرينة هي الدليل الذي يساعد العقل على فهم المراد من اللفظ.^٤ إذا كانت العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي علاقة غير المشابهة فالجهاز مرسل.^٥ إنّ العقاد مثل الكثير من الأدباء يستعمل المجاز في كلامه ليزيد من نطاق معاني المفردات ويثبّت المعنى في ذهن القارئ. فيما يلي بعض الأمثلة لاستعمال المجاز في كتاب سارة:

١- « فتمدّ يدها إلى جيبه.»^٦ ذكر «اليد» وأراد الأصابع (مجاز مفرد مرسل بعلاقة الكليّة)

^١ - المصدر نفسه، ص ٢٦.

^٢ - ابن منظور، لسان العرب، مادة جوز.

^٣ - با طاهر، البلاغة العربية، ص ٢٤٤.

^٤ - المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

^٥ - المصدر نفسه، ص ٢٥٠.

^٦ - عباس محمود العقاد، سارة، ص ٤٣.

٢- « الرجل الخبير بالنساء يشبع منهن. »^١ ذكر «يشبع» وأراد عدم الرغبة (مجاز مفرد مرسل بعلاقة الملزومية) ويمكن درجها في الاستعارة المصراحة أيضا وهي من أنواع المجاز بعلاقة المشابهة.

٣- « جاء اللقاء. »^٢ ذكر «جاء» وأراد تحقيق اللقاء في المستقبل. (مجاز مفرد مرسل بعلاقة ما يكون) لكننا إذا اعتبرنا أن الكاتب قصد تحقيق اللقاء في الحال ففي هذا المثال استعارة مصرية. وإذا اعتبرنا الفعل أسند إلى المصدر بدل الفاعل الحقيقي ففيه مجاز عقلي بعلاقة الإسناد إلى المصدر.

مجاز مركب مرسل

إن استعمال الجملة الإنشائية والطلبية بمعنى خبري أو العكس من ذلك يسمى مجاز مركب مرسل. نحو: «أ تظنين يا فلانة أنني من هؤلاء؟! معاذ الله يا فلانة! معاذ الله!!»^٣

إن الجملة الاستفهامية وهي من أنواع الإنشاء الطلبي استعملت هنا بمعنى خبري سلمي
 إن الأدعية هي جمل خبرية تستعمل في معنى إنشائي طلبي فتعتبر مجازا مرسلا مركبا، نحو:

١- «الحمد لله على السلامة! سلمك الله وعافاك!»^٤

٢- «حبيبة الله عليك.»^٥

٣- «قاتلك الله يا عجوز السوء.»^٦

كما نشاهد أن المثال الأول والثاني جملتان خبريتان تتشكلان من المبتدأ والخبر إلا أن الجملة الثالثة جملة خبرية فعلية تتشكل من الفعل والفاعل والمفعول ولكن استعملت الجمل الثلاثة بمعنى دعائي فتعتبر من الإنشاء الطلبي.

مجاز بالاستعارة

من الأساليب الأخرى التي استعملها الكاتب في كتاب «سارة» للوصول إلى مقصوده هو الاستعارة.

^١- المصدر نفسه، ص ٩٩.

^٢- المصدر نفسه، ص ١١٨.

^٣- المصدر نفسه، ص ٣٥.

^٤- المصدر نفسه، ص ٣٦.

^٥- المصدر نفسه، ص ١٢٦.

^٦- المصدر نفسه، ص ١٢٥.

الاستعارة لغةً طلب العارية واصطلاحاً هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي. وأركان الاستعارة ثلاثة: ١ - مستعار منه وهو المشبه به. ٢ - مستعار له وهو المشبه. ٣ - ومستعار وهو اللفظ المنقول.^١ إن الاستعارة نوع من التشبيه، الأصل فيه التناسي ويُدعى فيه تشابه المشبه والمشبه به وكأنه ليس فيه تشبيه.^٢

وفي الواقع يمكن القول بأن الاستعارة هي أكبر كشف للفنان في مجاله الفني وأفضل وسيلة للتخيّل. يعتبر المراعي كل أنواع الاستعارة أعلى وأقوى من التشبيه لأنه يعتقد بأنه يتم إيجاد اتحاد وانسجام في الاستعارة بين المشبه والمشبه به حيث يؤدي إلى مبالغة وتخيّل أكثر لدى القارئ وكأنه يُطلق لفظ واحد على المشبه والمشبه به.^٣

يرى عبدالقاهر الجرجاني بأنه يمكن باستعانة الاستعارة، إحياء الجمادات وإنطاق البكم أو الأشياء الصامتة وإيضاح المعاني الخفية بشكل جلي.^٤

إن النماذج التالية انتخبت من كتاب «سارة» لتؤيد هذا الادّعاء عن الاستعارة:

١ - «إن هماماً لم يكن من دأبه أن يقصّر في مراجعة نياته ودسائس طبعه...»^٥
فيها استعارة مكنية وأركانها:

١ - همام (مستعار له)

٢ - رجل خادع (مستعار منه محذوف)

٣ - دسائس طبعه (لوازم مستعار منه أضيفت إلى لفظ المستعار المتحد للمستعار له).

٤ - الجامع (العواطف الداخلية)

« فلما ساورته شبهات الشك... »^٦

فيها استعارة مكنية وأركانها:

^١ - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٣٠٠.

^٢ - أحمد أبو محبوب، كالبد شناسي نشر، ٢٤٢.

^٣ - أحمد مصطفى المراعي، علوم البلاغة، ص ٢٦٠.

^٤ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٤١.

^٥ - عباس محمود العقاد، سارة، ص ٥٤.

^٦ - المصدر نفسه، ص ٣٨.

- ١ - شبهات الشك (مستعار له)
- ٢ - [الخصم المنافس] (مستعار منه)
- ٣ - ساورته (لوازم المستعار منه التي نسبت إلى لفظ المستعار المتحد للمستعار له).
- ٤ - جامع الاشتباك
- ٢ - « وإذا كان بعض الشكوك في العشق من وساوس الأوهام.... »^١
فيها استعارة مكنية وأركانها:
- ١ - الأوهام: (مستعار له)
- ٢ - الختاس الذي يوسوس: (مستعار منه)
- ٣ - إيجاد الشك والترديد: (جامع)
- ٤ - الشكوك: (لوازم)
- ٣ - « تبتهج فيها الشمس بحدوء و يرقص فيها الهواء في حنين. »^٢
فيها استعارة مكنية وأركانها:
- ١ - « الشمس » و « الهواء » (مستعار له)
- ٢ - الإنسان المسرور والراقص: (مستعار منه)
- ٣ - إيجاد السرور للناظر: (جامع)
- ٤ - هدوء وحنين: (لوازم)
- ٤ - « لا تقول الشمس ولا يجيب الهواء. »^٣
فيها استعارة مكنية وأركانها:
- ١ - « الشمس » و « الهواء » (مستعار له)
- ٢ - الإنسان الذي يسكت ولا يجيب عن سؤال: (مستعار منه)
- ٣ - سكوت (جامع)
- ٤ - القول والإجابة (لوازم)

١- المصدر نفسه، ص ٣٠.

٢- المصدر نفسه، ص ١١٩.

٣- المصدر نفسه، ص ١١٩.

يمكننا أن نفهم في الاستعارات المذكورة أنه عندما يريد العقاد أن يلقي رغباته أو يوصل مشاعره للمخاطب أو يبلغه بالإغراق والتأكيد فإنه يستعمل هذا الفن. لأن الاستعارة نظراً لإيجازها تنقل العواطف والمشاعر كجسر. وهنا يتجلى اعتقاد فردينان دو سوسور الذي يقول: إن الخطاب ليس إلا توالي لغة أكبر من الجملة وإن القائل أو الكاتب هو الذي يحدّد هذا الأمر.^١ إذن نفهم بعد قليل من التمعّن في قلم العقاد أنه استعمل في خطابه الإيجاز كلما كان يشعر بذلك وهذا يدلّ على أن أسلوبه له قابلية الوصف من منظار الخطاب وتحليل الخطاب.

الكناية

على أساس رأي علماء البلاغة أن الكناية هي استعمال لفظ في غير معناه الأصلي مع إمكان إرادة معناه الأصلي أيضاً.^٢

إن الكناية نوع من فن البيان يستعمله العرب ويزيدون عبرها في الألفاظ التي تدلّ على المعنى المقصود حتى يكثر من دلالة اللفظ. تستعمل الكناية للمدح والذم أو لترك لفظ والإتيان بلفظ أجدر منه أو لترك استعمال ألفاظ قبيحة أو كذلك للمبالغة والاختصار.^٣ فيلاحظ في الأمثلة التالية أن استعمال الكناية من قبل العقاد أدى إلى إنشاء مفاهيم جديدة ونقلها ويمكن عبر فهم المفاهيم المتعلقة بها مشاهدة بارقة خطاب أدبي.

- ١- «فارتفع كابوس ثقيل عن صدر صاحبنا...»^٤ (كناية عن إزالة الغم والهمّ المؤلم.)
- ٢- «... و ألهمه الله أن يشمخ بأنفه...»^٥ (كناية عن التكبر والغرور)
- ٣- «... غلبت الأكدار على كلّ صفاء...»^٦ (كناية عن إزالة الصفاء والخلوص.)
- ٤- «الخادم شاخص لا ينيس بحركة.»^٧ (كناية عن سكونه حائراً وعدم التفوّه بكلام.)
- ٥- «كيف خامرتك الشكوك؟»^٨ (كناية عن سوء الظن وعدم الثقة)

^١ دايان مك دانل، مقدمه اى بر نظريه اى كفتمان، مترجم: حسين علي نوذري، ص ١٩.

^٢ سعدالدين تفتازاني، شرح المختصر، ج ٢، ص ١٢٣.

^٣ أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، صص ٢٨٦ و ٢٨٧.

^٤ عباس محمود العقاد، سارة، ص ٢١.

^٥ المصدر نفسه، ص ٨٣.

^٦ المصدر نفسه، ص ٣٨.

^٧ المصدر نفسه، ص ٢٦.

^٨ المصدر نفسه، ص ٣١.

- ٦- «هذا قميص الكتاف يا أحي! هذا قميص الكتاف!»^١ (كناية عن عمل مربك مزعج).
- ٧- «وقد شحذت كل منكما أظافرها لصاحبتهما؟»^٢ (كناية عن مجاهرة واشتباك بعضهم ببعض)
- ٨- «فزمت شفتيها.»^٣ (كناية عن حالة انزعاج واشتمزاز والكره من رؤية مشهد).
- ٩- «والآخر رجل مطموس البصيره، مملوء الخياشيم بالغرور والدعوى.» (فيها كنايةتان لموصوف متكبر جاهل يدعي معرفة كل شيء وهو لا يعرف شيئاً).

التكرار^٤

إن التكرار نخط أسلوبوي وهو أن يكرّر كلمة أو عبارة أو جملة مرتين أو مرّات بشكل محسوس وموسيقى لتأكيد الكلام أو التأثير العاطفي على المخاطب. إن هذا الأسلوب يعجب الكاتب الذي يتمتع بإحساس مرهف ويفهم الوزن فيسمى بالتكرار.^٥

يرى نبيل راغب أن الاهتمام بكمية تكرار أي ظاهرة لغوية محددة ودراستها بشكل علمي ودقيق تؤدّي إلى أن الناقد الأسلوبوي يعرف المشاعر الناجمة عن تعقيدات هذه الظواهر ويقوم بتحليلها.^٦ وإليك نماذج من أسلوب التكرار في كتاب سارة:

«وأنا ضعيفة ضعيفة ضعيفة»^٧. التكرار هو في كلمة «ضعيفه» إن الغرض من التكرار في هذه الجملة هو التأكيد على الضعف في سارة بغية تأييس المخاطب من طلبها والحيلولة دون أي عمل لإقناعها.

«تلك أيام! ثم جاءت بعدها أيام... وشتان أيام وأيام.... نعم؛ شتان حقيقة و تمثيل... وأي تمثيل؟»^٨. التكرار هو في كلمة «أيام». والغرض منه بيان التفاوت المتضارب بين الحالات الداخلية

^١- المصدر نفسه، ص ١٠٥.

^٢- المصدر نفسه، ص ١١٣.

^٣- المصدر نفسه، ص ١٢١.

4 - Repetition

^٥- أبو محبوب، كالبديشناسي نثر، صص ١٩٩ و ٢٧٠.

^٦- نبيل راغب، موسوعة النظرات الأدبية، صص ٣٤ و ٣٥.

^٧- عباس محمود العقاد، سارة، صص ٣٦ و ٣٧.

^٨- المصدر نفسه، ص ٤٣.

لبطل القصة في الأيام الصعبة التي تمضي بالذكريات الماضية وصورها الذهنية فقط ولن تستطيع أن تملأ فراغ الحس الملموس للحقائق التي حدثت في الماضي.

«لو أنها غلطة قدمين يا سارة؟! قالت غلطة قدمين أو غلطة يدين؟» التكرار هو في كلمة «غلطة». والتكرار هنا ليس لغرض التوكيد فقط، بل هو لنفي نوع الغلطة وإثبات نوع آخر منه. كل ذلك يتضح من التكرار والاستفهام الإنكاري في المثال، حيث كان التكرار ضروريا لإثبات الإنكار. «وقالت هذه الفتنة كلمتها وقال الحكماء والهداة كلمتهم ونظرت ونظروا ووعدت وأوعدت ووعدوا وأوعدوا.»^١ التكرار هو في كلمات «قال»، و«نظر»، و«وعد» و«أوعد».

تأثير استعمال الفنون البلاغية في تمايز أسلوب العقاد

أ. التشبيه

استطاع العقاد في معظم تشبيهاته عبر ذكر أركان التشبيه واختيار أحد الطرفين أو كليهما من النوع الحسي استطاع أن ينقل الحقيقة الكامنة داخله للمخاطب بوضوح وبشكل عيني وملمس لأن التشبيه يعتبر نوع من المقارنة ويمكن للمخاطب أن يحصل على فهم أفضل عبر هذه المقارنة. استطاع العقاد أن ينقل للمخاطب الحقائق التعليمية الواعظة لتجارب الحب المرّ لـ«همام» تجاه «سارة» مستعينا بأسلوب التشبيه، فإن استعمالا حسنا للغة مع أداء ذهنه المتحوّل وتقديم فضاء عاطفي بغموض تعتبر من مصاديق خطابه اللغوي.

ب. الاستعارة

إن العقاد ينوي في كتابة كتابه سارة إيصال الرغبات والانفعالات والإثارات الناجمة عنه إلى المخاطب، فحاول أن يبيّن عبر الاستعارة المفاهيم الغرامية العميقة ويستفيد من اتحاد الطرفين فيها للإغراق لأن هذا الفن وعلى أساس ما فيه من الإيجاز يعتبر أفضل وسيلة للوصول إلى الغاية في أقرب فرصة ممكنة.

إن وجود عدد كبير من الاستعارات المكنية في كتاب سارة يدلّ على قوة التخيل لدى العقاد، لأن لوازم هذا النوع من الاستعارة خيالية عادة وإن استعمالها بشكل واسع يؤدي إلى ارتباك ذهن المخاطب بالتخيلات العائمة داخل الكاتب فيتعرف على مفاهيم لا تستنبط بسهولة من النصوص المفصلة الخالية من الاستعارة.

^١ - المصدر نفسه، ص ٥٧.

^٢ - المصدر نفسه، ص ٥٨.

ج. الكناية

إن موضوع الحب والغرام يعتبر من المواضيع التي لا يمكن فيها دوماً التصريح في القول لبيان الأفكار والخلاجات الروحية. فينبغي أن نستفيد بعض الأحيان من اللوازم الموجودة حول المحبوب لبيان خصائصه ونستعمل أنواعاً من الكناية منها الرمز والتلميح لهذا الغرض. فاستعمل العقاد هذا النوع من الكناية بمهارة حاذقة كما استعمل التعريض والإيماء للتعبير عن مشاعره تجاه محبوبته مرة بالكناية و ذكر اسمها مرة أخرى بصراحة.

د. المجاز المرسل

إن قلة استعمال أنواع المجاز المرسل في كتاب سارة تدل دلالة صادقة على واقعية قليلة وإيجابية قليلة الحجم للعقاد في بيان مشاعره تجاه بطلة القصة. كما يدل استعمال أنواع التشبيه والاستعارة والكناية على قوة تخيُّله وعلى سيره في ذاته.

هـ. المجاز العقلي

إن وجود مصاديق من المجاز العقلي مع علاقتها المعهودة في كتاب سارة يدلُّنا على تمتع العقاد بمتانة الأسلوب واستعماله للتفكير الممزوج بالتخييل.

نتائج البحث

بناء على ما ذكر فإن العقاد كأديب وشاعر وكاتب حاذق يستعين بالأدوات الأسلوبية والبلاغية للتعريف بالحب الحقيقي على ضوء شخصية المرأة الحقيقية في العالم الحديث اليوم. من الواضح أن العقاد أحسن في استعمال اللغة حيث استعمل اللغة في مواقف جديرة حتى يبيِّن بوضوح ما ينويه من الحقائق التعليمية والنصائح والأخيلة عبر الأساليب البلاغية للمخاطبين. فيسيطر العقاد على هيكلية وأطر الكلام سيطرة كاملة وينقل المعنى والمفهوم إلى المخاطبين بشكل عميق. فإن هذا البحث يؤيد خطاب العقاد في كتاب سارة على أساس استعمال الأساليب البيانية. لأنه يعتبر تياراً إلى المستقبل يوفّر تواصل الأفكار عبر الكلام والتعامل اللغوي. فوجد العقاد وصولاً إلى هذه الغاية في الكناية وضحاً أيضاً حتى يشرح حبه الحقيقي ويفسّره تفسيراً لغوياً وخطابياً. عندما تتأمل قليلاً في تعدّد الأساليب البيانية المستعملة في كتاب سارة -والتي ذكرناها بشكل مجمل- نفهم أن التشبيه ثم التكرار، هما أكثر الأساليب البيانية استعمالاً في هذا الكتاب، وما يلفت انتباهنا هو أنّ التشبيهات المستعملة تحتوي أكثر أركانها لتكون واضحة للمخاطب ولتحتاج إلى جهد ذهني

للولوصول إلى غاية العقاد. يرى كثير من الباحثين أن أسلوب هذا الكاتب والمفكر الحاذق يتميز بمتانة، غير أن النقاد لم يدرسوا أسلوبه لحد الآن. وتبين لنا عبر دراسة إحصائية من النوع البلاغي الخطابي أن العقاد يستعمل القضايا الحاسمة والمسلمات في نوع بيانه حتى ينقل بسهولة للقراء غايته من كتاباته، فعندما يستعمل تشبيهاً بكل أركانه أو استعارة أو مجازاً أو كناية يتبادر معناها إلى الذهن بسرعة أو عندما يستعمل التكرار بشكل موفٍ فكل هذه الأمور يدل على طريقة تفكيره المنسجم الذي يظهر في إطار توالٍ لغوي للمفردات والجمل والفقرات وفي النهاية في كتاب يمثل نوع خطابه. إن العقاد استطاع في هذا الكتاب أن يلقي هدفه حتى نهاية الكتاب بشكل ساذج وواضح وتبين لنا أن منطقته يغلب على عواطفه ومشاعره وتخيّله.

قائمة المصادر والمراجع:

أ: المصادر العربية:

- القرآن الكريم.
- ١- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، حققه عبدالسلام الشدادى، ط ١، الدار البيضاء: خزانة ابن خلدون، ٢٠٠٥م.
- ٢- ابن منظور، لسان العرب، د. طبعة، القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- ٣- الإبياري، فتحي، أداؤنا والحب، د. طبعة، القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- ٤- أحمد فؤاد، نعمات، الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقاد، لا طبعة، القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- ٥- باطاهر، بن عيسى، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، بن غازي: دارالكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠٠٨م.
- ٦- البازعي سعد وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، الطبعة الثانية، بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.
- ٧- بليت، هنريش، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيمائي لتحليل النص، ترجمة محمد العمري، بيروت: أفريقيا الشرق، ١٩٩٩م.
- ٨- بن عبد العالي، عبدالسلام: بين بين، الطبعة الأولى، الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٩٦م.
- ٩- تفتازاني، سعدالدين، شرح المختصر، د. طبعة، قم: انتشارات كتيبي نجفي، د.ت.

- ١٠- جرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق محمد الإسكندراني وم.مسعود، د. طبعة، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م.
- ١١- راغب نبييل، موسوعة النظرات الأدبية، الطبعة الأولى، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ٢٠٠٣م.
- ١٢- ضيف، شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر، الطبعة العاشرة، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٢م.
- ١٣- عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، الطبعة الثالثة، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٤م.
- ١٤- العقاد، عامر، لمحات من حياه العقاد المجهولة، د. طبعة، مصر: دار نضضة مصر للطباعة والنشر، د.ت.
- ١٥- العقاد، عباس محمود، أنا، د. طبعة، مصر: دار نضضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٦م.
- ١٦- _____، سارة، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م.
- ١٧- العبد محمد: النص والخطاب والاتصال، الطبعة الأولى، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ٢٠٠٥م.
- ١٨- الفاخوري حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)، الطبعة الأولى، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦م.
- ١٩- المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، د. طبعة، بيروت: دارالقلم، د.ت.
- ٢٠- المقالح، عبد العزيز، عمالقة عند مطلع القرن، الطبعة الثانية، بيروت: دار الآداب، ١٩٨٨م.
- ٢١- الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة، د. طبعة، بيروت: دار الوفاق، د.ت.
- ب: المصادر الفارسية:
- ١- أبو محبوب، أحمد، كالبد شناسي نشر، چاپ اول، د.م، نشر زيتون، ١٣٧٤هـ.ش.
- ٢- بهار، محمد تقی، سبک شناسی، چاپ پنجم، تهران، انتشارات أمير كبير، ١٣٦٩هـ.ش.
- ٣- شميسا، سيروس، سبک شناسي شعر، چاپ سوم، تهران، انتشارات فردوسي، ١٣٦٨هـ.ش.

٤ - مك دائل، دايان، مقدمه اي بر نظريه هاي گفتمان، مترجم: حسينعلي نوزدي، چاپ اول، تهران، فرهنگ گفتمان، ١٣٨٠ ه.ش.

٥ - يحيائي إيله اي، أحمد، (تحليل گفتمان چيست؟)، مجله اي آموزش روابط عمومي، ٢٠١١ م.

ج: المصادر الإنجليزية:

1- Bullock Alan & Stallybrass Oliver , Fontana Dictionary of Modern Thought , 1981 , ondon.

2- Leech Geoffrey & short Micheal , Style in Fiction: A Linguistic Introduction to English Fictional Prose , 1981 , Harlow.

3- Mann Micheal , Macmillan Student Encyclopedia of Sociology , 1989 , London.

د) المواقع الإلكترونية:

1. www.khayma.com/salehzayadne/poets/3aqqad

2. www.lissaniat.net



تحليل بلاغی سبک عقاد در گفتمان کتاب « سارة »

- 1 دکتر محمود خورسندی
- 2 دکتر محمد خاقانی اصفهانی
- 3 دکتر علی ضیغمی
- 4 وجیهه السادات سید بکایی

چکیده

یک اثر ادبی را می توان از جهات گوناگون مورد بررسی و ارزیابی سبک شناسانه قرار داد. این پژوهش بر آن است که درون مایه های فکری عباس محمود العقاد را در کتاب سارة بکاود. کتاب مذکور اگرچه اشتراکاتی با نمایشنامه ها و رمان های دیگر دارد اما دارای امتیازاتی چون نقش بلاغت در تحلیل متن و شکل گفتمانی آن، وجوه تحلیل گفتمان و متانت قلم عقاد با به کارگیری ملموس و متعدد صنایع بیانی است که عقاد را از دیگر نویسندگان و شاعران هم عصرش متمایز و برجسته می کند. جستار حاضر نگرش نویسنده را در پردازش لایه های مختلفی چون سبک، گفتمان و مفاهیم آن و کاربرد صنایع بلاغی در آنها بیان کرده است تا نشان دهد که سبک ادبی عقاد از ناحیه ی علم بلاغت و گفتمان قابل توصیف است و جنبه ی منطقی و تحلیل عقلانی بر جنبه ی خیالی آن غلبه دارد. البته براساس مشخصه ها و نشانه های موجود می توان جوانب این انگاره را کاوید.

کلید واژه ها: گفتمان، سبک، تحلیل، عقاد، ساره.

^۱ دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه سمنان، ایران. Mahmoodkhorsandi7@gmail.com

^۲ استاد گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه اصفهان، ایران khaqani@khaqani.org

^۳ استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه سمنان، ایران. zeighami@profs.semnan.ac.ir

^۴ دانشجوی کارشناسی ارشد، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه سمنان، ایران. Vbokaei@gmail.com
تاریخ دریافت: 1392/01/18 هـ.ش = 2013/04/07 م تاریخ پذیرش: 1392/03/06 هـ.ش = 2013/05/27 م

The Rhetorical Analysis of the Style of Aqqad in his Book *Sareh*

Dr. Mahmood Khorsandi^{*}, Dr. Mohammad Khaqani Isfahani^{**},
Dr. Ali Zeighami^{***}, Vajiheh Sadat sayyed Bokaei^{****}

Abstract

A literary work can be appraised for its style in different ways. This study intends to investigate the intellectual aspects of *Sareh* by Mahmood Aqqad. This book shares some aspects with other plays and novels, but enjoys distinctive characteristics such as the use of rhetorical devices for textual and discourse purposes, different dimension, of discourse analysis tools, using popular stories, and employing sincere and tangible figurative language. The present article investigates this book for different textual dimensions such as style, discourse and rhetorical devices, so that it is proved that Aqqad's style can be described from a discoursal and rhetorical stance and logical and rational strands are stronger than imaginative ones. This claim can be elaborated according to the characteristics and evidence in the book.

Keywords: discourse, style, analysis, Aqqad, *Sareh*

^{*} Associate professor, Semnan University, Iran.

^{**} Professor, Isfahan University, Iran.

^{***} Assistant professor, Semnan University, Iran.

^{****} A.M Student, Semnan University, Iran.